مطبوعات شرقية

الشدياق واليازجي

مناقشة علمية ادبية

جمعها ونسقها الاب انطونيوس شبلي اللبناني

٢٥٢ ص. متوسطة – مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ، ١٩٥٠ – الثمن : ٣٥٠ غ . ل .

هي المناظرة اللغوية الشهيرة بين الشيخين احمد فارس الشدياق وابراهيم اليازجي المنشورة اصلاً في جريدة « الجوائب » ومجلة « الجنان » سنة ١٨٧١ ، جمعها الاب المؤلف في هذا الكتاب تسهيلاً لفائدة طلّابها من المشتغلين بالشؤون اللغوية والراغبين في الاطلاع على تطوّر تاريخ الادب العربي في القرن التاسع عشر . وقد قدّم عليها انجاناً في حياة كلّ من المتناظرَين وفي آثارهما ، آخذاً ترجمة الشدياق عن بولس مسعد ، وترجمة اليازجي عن كرّاس نشرته جريدة « لسان الحال » . واردف المناظرة بنقود واهاجيّ للشدياق في المعلّم بطرس البستاني الذي نشر في « الجنان » ردود اليازجي على الشدياق . ثم برد مسهب على اليازجي نشره الشدياق في كرّاس على حدة . وختم المؤلف الكتاب بمنتخبات من آثار الشدياق ولا سيّما رسائله ، وبمنتخبات من آثار اليازجي كذلك . فجاء المجلّد ، على ما فيه من فرائد وشوارد لغوية ، واساليب منطقيّة قد يشوبها شيء من التحامل العاطفي ، مجموعة مفيدة ، ومحطة من محطات تاريخ الادب ، وصورة جليّة لما كان يشغل بال بعض ادبائنا في القرن الماضي .

ف . ا . ب .

اغاريد ، اصداء ، الابراج

تأليف أحمد قنديل

مطابع نصار ، بيروت – ١٩٥١

هي ثلاثة دواوين شعرية للأستاذ احمد قنديل تتناسب تقريباً في الحجم وتتساوى من حيث جمال الورق والطبع. في « اغاريد » يرينا الشاعر كيف كان « شباباً واملاً » تعصف في قلبه مطامع الحب وآماله فيطوّفنا في دنيا « النجوى والوصال فالحرمان فالذكرى »، وكلها حالات وعواطف بشرية هدرت في اعراق كل الناس . وفي « اصداء » يدخل معمعة الحياة ، مسرح « الجهاد والعمل » ، مع ما فيها من « نشيد نصر وخيبة وغربة » فاذا نفسه تحمل بؤس الناس وافراحهم ، يأسهم وامالهم ، فكأنها الصدى المرنّ لذى كل خفقة . وفي « الابراج » يخبرنا بانه قد اصبح « حياةً وملاً » ، فتسير « الذكرى » متهادية امام « رقصة الموت » . فكأن الشاعر وقد خمدت فيه ثورات الشباب الطموح يدلنا على الطريق الذي قرّرته له الايام : « هذا سبيلي » عنوان احدى قصائده.

واذا كان من حكم نصدره ، بكل اتضاع ، على هذه الدواوين الثلاثة ، فهو القول بان عناوين القصائد هي اجمل من القصائد ذاتها ، فان هذه ضعيفة الخيال والاحساس اجمالاً . فكثيراً ما يتعب النَفَس عند الشاعر فيهبط بقارئه بعد نشوة الصعود الى وادي النثر السحيق فيخيب امل القارئ المفجوع . شعر الاستاذ قنديل إطلالٌ على جنة الشعر ووقوفٌ على الباب المرصود لا تسمح له الالهة الحارسة بالدخول ليغرف من جمالها ويخبر الناس عمّا رأى واحسّ وعاد به.

ميشال حايك

بين لبنان وفرنسا

تأليف انتناس حاج قب

المطبعة البولسية ، حريصا – ١٩٦٨ – ٢٢١ ص

هي مشاهد وعبر رسمها الكاتب أثناء رحلة قام بها مع رفاق له تركوا لبنان على ذمة نحو القطر المصري ثم الى ايطاليا حيث شاهدوا رومية وآثارها، كنائسها وديانيسها . واذا بهم يتوجهون بعد ذلك الى فرنسة حيث يقفون طويلاً امام متاحف وقصور مدينة الجمال والنور ويتأملون عن كثب بكل النواحي الاجتماعية والادبية هناك وبادوار المؤسسات الاكليريكية في النهضة الروحية الحديثة في فرنسة . ويسيرون نحو لورد الشهيرة بعجائبها ثم نحو الشمال الى بريطانيا ثم الى أرض مسقط رأس الكاهن القدّيس . ويعودون ادراجهم مارّين بمرسيلية وايطالية ، وها هم بعد عاصفة في البحر يرجعون الى القرية الصغيرة الهانئة في لبنان .

لا تبرح ذكرى لبنان تطلّ على خيال الكاتب امام المشاهد المتنوعة التي رآها . فكأنه ما قام برحلته الا ليطلع ابناء بلاده على جمالات الغرب وعلى التأثيرات التي انطبعت في نفسه خلال الرحلة .

كتاب كنا بحاجة اليه بين ضجيج الكتب المتساوقة التي لا يحيد اكثرها عن موضوع غراميات كاذبة سهلة وقصص لا يتمّ الا القليل منها بشيء الى ما هي عليه الحياة الحقيقية .

مكتبتنا العربية تعوزها اخبار رحلات منزّهة عن غايات سياسية وعقائدية . فما اجمل هذا المثال بين يدينا !

الكتاب متقن الطبع جميل الورق صغير الحجم . اسلوبه ناعم رائق يدل على نفسية هادئة عند الكاتب . وان فيه من المرونة والطلاوة ما يجعلنا ننتظر امثاله من ادبائنا .

ميشال حايك

F. M. Pareja, *Con la collaborazione del Dott.* A. Bausani *e del Dott.* L. Hertling. *Islamologia*. Orbis Catholicus. Rappresentanza Herder. Romae, Piazza Montecitorio, 117, 1951, in 8°. 842 pp., 48 cartes, dessins et tableaux synoptiques.

لا يسوغ لنا القول إنّا في افتقار الى مؤلفات تُعنى بدراسة الاسلام لانها عديدة في كل الارجاء ، ولكن ليس بينها مؤلف قيّم كالمؤلف التي نتصدى للكلام عليه سواء أكان ذلك من حيث سعة مادته ام من حيث دقته العلمية وانسجام مجموعه او من حيث رصانة احكامه ووضوحه وبعده عن الحشو وحرص المؤلف التعليمي فيه فلم نرَ اي كتاب كان يضارعه في مجموعه .

وواضع هذا الكتاب هو الاب فيلكس م. باريخا (P. Félix M. Pareja) اليسوعي الاسباني استاذ التاريخ الاسلامي في الجامعة الغريغورية في روما. وقد وضع الفصل الجغرافي للبلدان الاسلامية فيه الاب ل. هرتلنغ (R P.L. Hertling) استاذ التاريخ الكنسي في الجامعة نفسها. اما القسم الثالث منه الذي عني ببحث الاداب الاسلامية فيقلم الدكتور السندرو بوزاني (Dr Alessandro Bausani) مقرئ الفارسية في جامعة روما وهو الذي عهدت اليه ترجمة هذا الكتاب عن اصله في الاسبانية الى اللغة الايطالية .

ولا ريب في ان كتاب الاب باريخا هو المرجع الذي لا يستغنى عنه لتفهم روح الاسلام تفهماً راسخاً — والكتاب يشتمل على ٨٥٠ صفحة — وادراك الوجهة العلمية الغربية فيها على هذا الصعيد .

ولا ينقص هذا المؤلف شيء مما يتعلق بالجغرافية والتاريخ والانظمة والثقافة ولا سيما في الحقل الاسلامي حيث لا نقوى على الفصل بين الدين والثقافة .

وقد اردف المؤلف قائلاً وقد اصاب كل الاصابة : ان غاية الدراسة الاسلامية ليست في الحكم على قيمة الاقوال المسلَّم بها دينياً وانما في بسطها فقط .

ويتناول القسم الاول من الكتاب المتعلق بالتاريخ البلاد العربية قبل الاسلام

واخريات الحوادث التي تتصل به وذلك بعد ان يصف المؤلف وصفاً دقيقاً موضوعياً الاقطار الاسلامية : فقد تصدّى الى حرب اسرائيل وقضية سورية الكبرى والهند والباكستان .

ونقع في هذا المؤلف على تاريخ الشرق الادنى المشبع بحثاً كتاريخ مصر بتقلب حوادثه ، وذلك على قدر ما يسمح به المقام في كتاب تتداوله الايدي. اما تاريخ سورية ولبنان من عهد الانتداب فستوفي التفاصيل الضرورية .

ومما يجدر بنا ان نلفت النظر اليه هو تاريخ الهند الذي خصّه المؤلف بفصل وبحثه بحثاً لم يتعدّ الى مثله مؤرخ قبله حتى بروكلمان نفسه في كتابه القيّم.

ولئن اثنينا على حضرة الاب باريخا فلأنه كان السبّاق الى وضع هذه المأثرة القيّمة وان وددنا لو كان المع في فصوله المتماسكة التنسيق الماعاً اكثر تفصيلا الى ما كانت ترمي اليه الفتن في خلافة عثمان والى مقتل هذا الخليفة وان لم يهمل ذكرهما .

ولقد بحث المؤلف الاسس الدينية ، « الانظمة » ، كالقرآن والسنة والعلم الديني (اللاهوت) الاسلامي واللاهيولية بحثاً تدعمه الحجج المستمدة من العلوم الحديثة وكان واضحاً موزوناً مفعماً حيوية .

وضرب الاب باريخا مثلاً على كلفه بالامور الموضوعية « المحسوسة » ببحثه الحج بحث العالم القابض على ناحية فنه (ص. ٤١٢ — ٤١٧) ، فلم ينقص شيئاً سواء اكان من حيث نشأة الحج او معناه ام من حيث تصوير شعائره وملابسات ظروفها الحسية وكيفية ممارسة تلك الشعائر وابرز ذلك في لوحة جلية لا يحاكي جلاءها وضوح حتى يخيل اليك انك تتابع يوماً فيوماً ومكاناً فمكاناً كيفية ممارستها . اما بحثه العقائدي فسمته التنقيب الدقيق المرتبط بالظروف التاريخية من دون تعقيد .

واقد بسط علم الكلام كما اجمع عليه في مرحلته الخاتمة وفق ما جاء في كتاب الغزالي « الاقتصاد » وادرك اهمية المعتزلة التي لم يفهموها فهماً

صحيحاً في الماضي على اننا كنا نودّ ان نراه اكثر تفصيلاً لها وايضاحاً مما هو ولا سيما في منشئها التاريخي واخلاصها « للامّة »

والفصل الذي خصّه بالتصوف هو فصل ممتع حقاً باقتضابه وبتوضوعيته بعيد عن سيطرة عواطف المؤلفين وعن التحيّز الى الاصطباغ بصبغة ذرائع الدفاع المسيحية .

وفي هذا الفصل نرى اصول التصوف والنواة القرانية والمؤثرات الغريبة وقد تناولها المؤلف باعتدال ورصانة كما نرى التعاليم والمذاهب التي ابرز صورها وعلاقاتها بالاسلام الرسمي والدور الذي مثله الغزالي .

وافرد المؤلف فصلاً للطريقة والاولياء والشعائر المذهبية والاعياد ومناهج الاتصال بالله الخ.. اما الفصل الذي تكلّم فيه على « محمد في الاسلام » فذو معنى عميق ، وقد نقل فيه نصاً طويلاً عن كتاب المولد الرائع لسليمان الشلبي بشأن المعجزات وقصيدة وجيزة تتعلق بالموضوع نفسه لاحد مؤلفي المغرب (ص. ص. ٥٤٣—٥٤٥) وختم هذا الجزء بفصل في الفِرَقِ وتعاليمها وانظمتها واتبعه بجدول ثبت لها .

والجزء الثالث من الكتاب وضعه الاستاذ بوزاني وخصّه بدراسة الاداب الاسلامية وافرد فيه ثلاثة فصول متتابعة خصها بالادب العربيّ والفارسي والتركي .

وفي هذا الجزء فصل يطلعنا على الادب الاوردي والاداب « الفرعية » الباشتو « Pastô » والبالوشي « Balûči » والكردية والبربرية والهوزا « Hausa » والسواهيلي « Swahili » .

وما خلا المصادر القيّمة التي اعتمدها المؤلف ثمت مختارات عديدة لمؤلفين كثيرين في ثنايا وتزيد في رونقه . حيث نقع على شرح مفصل مستحب «لرجل » ابن قزمان ، هذا الادب العربي الشعبي المشوب بلهجة اسبانية وقد اورد المؤلف مثلاً شيئاً منه في كتابه هذا . ولا شك في ان الجزء العربي له رائع وقد لمع فيه بوزاني ولكنه كان المع في الفرع الفارسي .

وهنا نتوق ان نرى بين هذه مختارات التي نعرفها بالكتب مقالة المرحوم جويدي الرائعة في دائرة المعارف الايطالية .

ويشتمل الجزء الرابع الذي يلي على العلوم والفنون التي درس المؤلف اولاً بيئتها التاريخية التي نشأت فيها العلوم العربية ليقف عند المناهج الفلسفية ويبحث تياراتها المختلفة والشخصيات البارزة في المحيط الاسلامي فيها ليعقبها بالعلوم الطبيعية والطب والفيزيائية الرياضية .

وانتقل في نهاية الامر الى بحث الفنون فبدأ فصله هذا باعتبارات كانت في محلها بشأن نشأة بعض مزايا الفن الاسلامي ذي الطابع الخاص «ورسخ كفن عظيم» على الرغم من الضروب العديدة التي استمدها من غيره. ومن ثم تصدى المؤلف الى ايراد لمحة عن نماذج آثار البناء وصناعة التزيين مفضلاً في قسمه الوصفي اتباع النهج الجغرافي لا التاريخ مستقرئاً الاقطار الاسلامية الكبرى من دون ان يهمل تطور اي قطر كان منها تطوراً تاريخياً .

وعقب وصفه للابنية التاريخية في البلدان المختلفة افرد بعض الصفحات لضروب الفنون الفرعية وهي وان كانت قليلة فانها جوهرية .

وهذا الكتاب غزير المادة مفعم بالفائدة لدرجة لم يكن يوسع المؤلف الا ان يبقى وفياً لمبدإ كلفه بالامور المحسوسة . ولذلك قد ذيل الفصل المخصص للفنون بتصاميم مساجد سبعة واضحة كل الوضوح .

ولن نقوى على ان نذكر جميع محاسن كتاب الاب باريخا ، هذا الكتاب الذي استوجب حتماً اعادة النظر فيه لانه من المستحيل ان يكون الامر على غير ذلك ولا سيما عند شعورنا بان المؤلف لم يسند كلامه الى السماع فقط وهذا مما جعله يعاني المشقات في درس خير المؤلفات الغربية التي تبحث الدراسات الاسلامية لتأتي اقواله فيه اقوال العليم بالامر. فعند كل نقطة تحتاج الى الشرح لا يتورع عن الوقوف امامها ليفيها حقها: اذ رأيناه ملماً حقاً بكل شاردة وواردة في الموضوعات التي كانت مثار المناقشات في اي فرع كان من فروع الدروس الاسلامية الكبي لا يسهل معالجتها متى عنّت له السانحة من دون ان يؤخذ مأخذ عليه فيها ليظل ضمن النطاق الذي فرضه عليه كتابه فرضاً .

وباستطاعتنا ان نعدّ كتابه بمثابة دائرة معارف حقيقية لا نضرب فيه لسهولة العودة اليه بفضل فهارس فصوله وتبويب ثبت اسماء اعلامه التي تربو اكيدًا على اكثر من ستة الاف اسم .

ومما لا ريب فيه ان اصدار مؤلف واسع كل هذا الاتساع تدعمه الوثائق القوية والحكم الناضج والاتزان الشديد يستغرق وقتاً طويلاً .

واننا لنحرص على التذكير — ونحن نكتب في الشرق — بان المؤلف قد دلل على وسع عقل كبير : اذ اعترف بالمؤثرات الخارجية في الاسلام كتأثير المسيحية مثلاً ولكنه لم يقل كلمة واحدة لا يرتاح اليها مسلم سواء اكان سنياً ام شيعياً بل على العكس من ذلك فانه رغب دائماً في ذكر الناحية الايجابية في الاسلام لعلمه ان المسلمين هم «مسلمون» لا «محمديون» كما يسمونهم غالباً في الغرب ، وان دينهم «الاسلام» لا «المحمدية» كما اكد ذلك صراحة من الصفحة الاولى في كتابه .

والاب باريخا الذي يعرف الردود التي استطاعوا ان يأتوها حول صدق النبي قد بحث عن ايجاد نصوص لحلها . اما فيما يتعلق بقضية تعداد الزواج وهي حجرة العثرة في الغرب فقد صرح بجيا يتهكم لاذع « اما بشأن الميل الظاهر الى النساء فليس هو الوحيد بين كبار شخصيات التاريخ» واردف بعدئذٍ هذه العبارة التي قد تبدو جريئة : « يجب ان لا ننسى ان محمدًا كان واسطة السمو الروحي لشعبه فتعليمه حمل الى الكثيرين معرفة التوحيد والعقاب الاخير ولولاه لما كانوا يعرفونها. ولذلك نعتبر ان كتاب «الدراسات الاسلامية» الذي وضعه الاب باريخا ومعاونوه العلماء الجديرين بان يتخذ كقاعدة للدراسات الاسلامية لا في الجامعات الاوربية فحسب بل ينبغي له ان يلاقي اقبال البلدان الاسلامية عليه : فالاختصاصيون المنقطعون الى هذه الدراسة يسعهم ان يروا في كتاب واحد محصل مجموعة نتائج العلم الغربي ، والمسلمون المتعلمون وهم ليسوا من ذوي الاختصاص سيجدون في هذا المؤلف الذي لا تحيّز فيه وجهة نظر المستشرقين . وانه لمن الخدمات الجلّى للشرق والغرب ترجمة هذا الكتاب

الى العربية . اما اخراجه فجميل ولاسيما عندما بدا اهتمام المؤلف وحرصه على ان يكون تعليمياً .

وفيما خلا الفصل التمهيدي الذي حدّد فيه مفهوم الدراسات الاسلامية واوضح مبادئ دراسة المناهج الخاصة لمختلف العلوم والتعليمات العامة بشأن دراسة الاسلام والمؤسسات العلمية وادوات العمل قد اتبع الكتاب بذيل لتعريف الكتب المختارة وضم اليه مجموعة خرائط جغرافية تناهز الاربعين عدداً مع رسوم عديدة وضع معظمها بنفسه وثبت مختصر لفصوله . اما الغلاف فتزينه صورة محمد الثاني بريشة بليني « Bellini » .

ا. لاتور اليسوعي